

آثار العلمانية السيئة على العالم الإسلامي

الكاتب: حمود الرحيلي



وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم، وإليك بعض الآثار السيئة التي جنتها المجتمعات الإسلامية من تطبيق العلمانية:

التحاكم إلى كتاب الله

1- **رفض التحاكم إلى كتاب الله تعالى**، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن ذلك بالقوانين الوضعية المقتبسة عن أنظمة الكفار، واعتبار الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تخلفاً ورجعية.

التعليم خادم للفكرة العلمانية

2- **جعل التعليم خادماً لنشر الفكر العلماني** وذلك عن الطرق التالية:

أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية.

ب- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن، وتكون في آخر اليوم الدراسي وقد لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

ج- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم وتزييف ضلالاتهم.

د- تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل لا تعارضه.

الفوارق بين المسلمين وغيرهم

3- **إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة**، وهم المسلمون، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد. فالمسلم

والنصراني، واليهودي، والشيعي، والمجوسي، والبرهمي، وغيرهم يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

الإباحية والفوضى الأخلاقية

- 4- **نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية**، وتهديم بنیان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية وذلك عن طريق:
- أ- القوانين الوضعية التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها.
 - ب- وسائل الإعلام المختلفة التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة.
 - ج- محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.
- إن أعداء الإسلام لم يكتفوا بإبعاد الشريعة الإسلامية عن مجالات الأنظمة السياسية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية فحسب، بل تمادوا في الاعتداء على أنظمة الأسرة المسلمة، وهذا أمر في غاية الخطورة؛ لأن تلك الأنظمة جاءت ملائمة لطبيعة الإنسان وغرائزه، حتى لا يحد ويصرف تلك الغرائز في المحرمات، ولذا فإن الله تعالى أمر بالزواج؛ فقال: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...} (1) وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...} (2).
- وعن أبي هريرة وأبي حاتم المزني - رضي الله عنهما - قال - صلى الله عليه وسلم -: "إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" (3)، ووجه النبي - صلى الله عليه وسلم - الشباب بقوله: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج" (4).
- وحرَم الإسلام الزنا وحذر من الاقتراب منه؛ قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (5).

وأمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم، وفرض الحجاب على المرأة المسلمة، ومنعها من التبرج وإظهار محاسنها ومفاتنها، وذلك صيانة لكرامتها، وحفاظاً على عفتها، قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} (6) وقال سبحانه: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} (7).

وحرَم الإسلام الخلوة بالأجنبية، ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم" (8).

فالله سبحانه وتعالى جعل للأسرة المسلمة نظاماً متكاملًا، يكفل لها الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، ولذا فإن الله حينما يحرم علينا الفواحش والخبائث التي تضر بنا في ديننا ودنيانا، لا يريد حرماننا، وإنما يحافظ على ما فيه صلاحنا فيحل الطيبات لنا، وهو العالم بطبائع البشر، فلا يعرض الناس للفتنة للوقوع فيها، بل يسد أبوابها حتى لا يكلفهم مقاومتها، فهو دين وقاية للمجتمع، قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات عليها، وربك أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير.

ولهذا نقول: ماذا يريد دعاة السفور، والمزينون للناس حب الشهوات؟! إنهم يريدون إطلاق الغرائز من عقالها، بالكلمة، والصورة، والقصة، والفلم، والمعسكر المختلط؛ ليقعوا الفتاة المسلمة التي أعزها الله بدين الإسلام، وتعاليمه السمحة القيمة، التي تصونها من الوقوع في حباتهم، حتى تصبح بضاعة مزجاة ساقطة لا قيمة لها، كما كانت في الجاهلية، فأعزها الله بالإسلام فحماها طفلة من الواد الذي كان يمارس في حقها، فتدفن حية لا ذنب لها إلا أن الله خلقها أنثى {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (9). بل جعلها الإسلام حجاباً من النار لكافلها، ثم جعلها أختاً مصونة، وأماً كريمة، حث على البر بها، والإحسان إليها، هكذا تكون المرأة إذا كانت سالحة، وهي فتنة إن حادت عن هذا الطريق؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنه لم يترك فتنة أشد على أمتة من الدنيا والنساء (10)، فهي فتنة إذا تركت تعاليم دينها، وذهبت مع دعوات الذين يريدونها سلعة يعبث بها ذئاب البشر،

باسم الحرية والمساواة الزائفة. إن العزة والكرامة في الدنيا والآخرة للمرأة المسلمة، المحافظة على تعاليم دينها، وإنما نجد بحمد الله في كثير من مجتمعات العالم الإسلامي عودة الفتاة المسلمة إلى تعاليم دينها، وأبرز ذلك ظاهرة الحجاب في تلك البلاد الإسلامية، وذلك ما يدعو إلى التفائل بعز هذا الإسلام ونصره، وذلك بعد أن جرب المخدوعون ما دعاهم إليه من يدعون إلى الحرية الزائفة، التي ظهر عوارها، وبان خداعها، فظهر الحق وهم كارهون، والله متم نوره ولو كره الكافرون (11).

القومية والوطنية

5- **الدعوة إلى القومية أو الوطنية**، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس، أو اللغة، أو التاريخ، أو المكان، أو المصالح، أو المعيشة المشتركة، أو وحدة الحياة الاقتصادية، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل الاجتماع ولم الصف، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعدُّ عاملاً من عوامل التفرق والشقاق (12).

ولا شك أنَّ الفكرة القومية أو الوطنية وفدت إلى ديار المسلمين من الغرب، والذي احتضنها وغذاها ودعا إليها عقول غير إسلامية، وأشخاص ليسوا بمسلمين، ولقد كان ظهور الفكرة - سواء أكانت عربية أم طورانية (13) مصدر شر على جميع المسلمين، وزاد الأمر سوءاً عندما امتزجت القومية العربية مؤخرًا بالاتجاهات الاشتراكية العربية الثورية.

ولقد أثارت الدعوة إلى القومية طوائف أخرى تعيش في المنطقة، ودفعتها لأن ترفع نفس الراية، ففي السودان دعا سكان الجنوب إلى بعث القومية الزنجية، وفي الشمال الإفريقي ارتفعت أصوات بقومية بربرية؛ كرد فعل للقومية العربية، وفي العراق دعا سكان الشمال إلى بعث القومية الكردية، وفي الهند ظهر مسلمون يفخرون بالانتساب إلى القومية الهندية.

وهكذا كانت الآثار القومية السيئة لا حد لها، وبدل أن تكون طريقاً لوحدة عربية شاملة، كما زعم دعائها، أصبحت من عوامل بث الاضطرابات والتفرق

بين الأمة الإسلامية، خاصة عندما عرّج بها دعائها على الاشتراكية الثورية، وأغرقوا الشعوب بسيل من الشعارات التي لا محتوى لها، ولا مضمون وراءها، كالتغيير الثوري، والحل الثوري، ومجتمع الكفاية والعدل والتقدمية والتحررية وغير ذلك من الشعارات الزائفة (14).

ولا يفهم من هذا توهين علاقة الإنسان بقومه أو وطنه، فتلك من الفطرة البشرية المركوزة في جيلة الإنسان، وليست محبة الإنسان لوطنه وأمته وسعيه في سبيل تقدمها وازدهارها، والعمل على أن تكون كرامتها مصونة، وحصونها محمية، وإنما الإنكار على ابتعاد المسلم عن دينه وعقيدته، وحصر ولاءه للقوم أو الوطن، والتحول إلى العصبية العمياء، التي تنتصر للقوم أو الوطن بالحق أو بالباطل، وعدم الاهتمام بالإسلام وقضايا المسلمين.

الارتقاء في أحضان الغرب

6- **الدعوة إلى الارتقاء في أحضان الغرب** وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز: فقد قام بهذه الفكرة كثير من دعاة التضليل للأمة الإسلامية عند ضعف المسلمين وتفرقهم، حيث زعموا أن سبيل التقدم والنهضة، هو السير خلف ركاب الغربيين، والأخذ بمنهجهم وطريقتهم في كل شيء، حتى نكون مثلهم في الحضارة الحديثة، بخيرها وشرها، وما يحمد منها وما يُعاب. ونتيجة لتلك الدعوات المغرضة من أدياء الفكر، ذهب كثير من أبناء المسلمين إلى الدول الأوروبية، لإكمال تعليمهم، وغالبًا مايتأثر هؤلاء الطلاب بعادات الغرب وأفكاره.

الشريعة لا توافق الحضارة الحديثة

7- **الزعم بأن الشريعة الإسلامية لا تتوافق مع الحضارة الحديثة:** وهذا الزعم جاء نتيجة لاحتكاك أبناء الأمة الإسلامية بالحضارة الغربية الحديثة، فظنوا - جهلاً - أن الإسلام لا يتوافق مع الحياة العصرية، ولا ينسجم

مع متطلبات الإنسان في هذا العصر.
بل قالوا إن الشريعة الإسلامية هي السبب في التخلف والرجعية، وأن السبيل
إلى التخلص من هذا الداء، والنهوض بالأمة إلى التقدم والحضارة هو نبذ
الإسلام وتعاليمه.
فهذه بعض الآثار والثمار السيئة والخبيثة التي انتهجتها العلمانية في البلاد
الإسلامية التي تبنت العلمانية.
"والعلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين، والتهكم
والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش
(كالسكر، والتبرج، والاختلاط المحرم) ونشر الرذائل، ومحاربة الحشمة
والفضيلة، والحدود الشرعية، والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضًا بحب
الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها" (15).

الإشارات المرجعية:

١. سورة النور، الآية (32).
٢. سورة الروم، الآية (21).
٣. سنن الترمذي 3/395 كتاب النكاح رقم الحديث (1085) وسنن ابن ماجه 1/632 كتاب النكاح رقم الحديث (1967) واللفظ له.
٤. صحيح البخاري بشرح الفتح 9/106 كتاب النكاح رقم الحديث (5065) وصحيح مسلم 2/1018 كتاب النكاح رقم الحديث (1400) عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه.
٥. سورة الإسراء، الآية (32).
٦. سورة النور، الآية (30).
٧. سورة النور، الآية (31).
٨. صحيح البخاري بشرح الفتح 9/330-331 كتاب النكاح رقم 5233، ومسلم 2/978 كتاب الحج رقم (1341) واللفظ له.

٩. سورة التكوير، الآيتان (8، 9).

١٠. انظر: الحديث في صحيح البخاري بشرح الفتح 9/137 كتاب النكاح رقم الحديث (5096) وصحيح مسلم 4/2097 كتاب الذكر والدعاء والتوبة رقم الحديث (2740).

١١. الوصايا في الكتاب والسنة للدكتور علي بن محمد ناصر الفقهي، المجموعة الأولى ص 31، 32 بتصرف.

١٢. انظر: العلمانية وثمارها الخبيثة لمحمد شاكر الشريف ص 21 وما بعدها باختصار وتصرف. وانظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعدالدين صالح ص 207.

١٣. الطورانية هي: قومية الأتراك في جاهليتهم قبل دخولهم في الإسلام. انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص 581.

١٤. انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة د/ جمعة الخولي ص 128.

١٥. انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص 111.

المصدر:

حمود الرحيلي، العلمانية وموقف الإسلام منها، ص 387

الكلمات المفتاحية:

#العلمانية #العالم-الإسلامي

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تركية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.